هذه قريش قد جاءت بخيلائها وفخرها يكذبون رسلك اللهم إني أسألك ما وعدتني فأتاه جبريل عليه السلام فقال : خذ قبضة من تراب فارمهم بها قال : لما التقى الجمعان لعلي رضي ا عنه : أعطني قبضة من حصباء الوادي فرمى بها في وجوههم وقال : شاهت الوجوه فلم يبق مشرك إلا شغل بعينيه فانهزموا وردفهم المؤمنون يقتلونهم ويأسرونهم فقيل لهم " فلم تقتلوهم " . والفاء جواب شرط محذوف تقديره : إن افتخرتم بقتلهم فأنتم لم تقتلوهم " ولكن ا قتلهم " لأنه هو الذي أنزل الملائكة وألقى الرعب في قلوبهم وشاء النصر والظفر وقرى قلوبكم وأذهب عنها الفزع والجزع " وما رميت " أنت يا محمد " إذ رميت ولكن ا رمى " يعني أن الرمية التي رميتها لم ترمها أنت على الحقيقة لأنك لو رميتها لما بلغ أثرها إلا ما يبلغه أثر رمي البشر ولكنها كانت رمية ا حيث أثرت ذلك الأثر العظيم فأثبت الرمية لرسول ا A لأن صورتها وجدت منه ونفاها عنه لأن أثرها الذي لا تطيقه البشر فعل ا D فكأن ا هو فاعل الرمية على الحقيقة وكأنها لم توجد من الرسول E أصلا . وقرئ " ولكن ا قتلهم " ولكن ا رمى بتخفيف لكن ورفع ما بعده " وليبلي المؤمنين " وليعطيهم " بلاء حسنا " عطاء جميلا . قال زهير : .

فأبلاهما خير البلاء الذي يبلو .

والمعنى : وللإحسان إلى المؤمنين فعل ما فعل وما فعله إلا لذلك " إن ا سميع " " لدعائهم " عليم " بأحوالهم .

" ذلكم وأن ا موهن كيد الكافرين " .

" ذلكم " إشارة إلى البلاء الحسن ومحله الرفع : أي الغرض ذلكم وأن ا موهن " معطوف على ذلكم . يعني : أن الغرض إبلاء المؤمنين وتوهين كيد الكافرين . وقرئ : موهن بالتشديد . وقرئ على الإضافة وعلى الأصل الذي هو التنوين والإعمال .

" إن تستفتحوا فقد جاءكم الفتح وإن تنتهوا فهو خير لكم وإن تعودوا نعد ولن تغني عنكم فئتكم شيئا ولو كثرت وأن ا مع المؤمنين " .

" إن تستفتحوا فقد جاءكم الفتح " خطاب لأهل مكة على سبيل التهكم وذلك أنهم حين أرادوا أن ينفروا تعلقوا بأستار الكعبة وقالوا : اللهم انصر أقرانا للضيف وأوصلنا للرحم وأفكنا للعاني إن كان محمد على حق فانصره وإن كنا على حق فانصرنا . وروي : أنهم قالوا : اللهم انصر أعلى الجندين وأهدى الفئتين وأكرم الحزبين . وروي أن أبا جهل قال يوم بدر : اللهم أينا كان أهجر وأقطع للرحم فأحنه اليوم أي فأهلكه . وقيل : " وإن تستفتحوا "

خطاب للمؤمنين وإن تنتهوا " خطاب للكافرين يعني وإن تنتهوا عن عداوة رسول ا A " فهو خير لكم " وأسلم " وإن تعودوا " لمحاربته " نعد " لنصرته عليكم وإن ا " قرئ بالفتح على : ولأن ا معين المؤمنين كان ذلك وقرئ بالكسر وهذه أوجه . ويعضدها قراءة ابن مسعود وا مع المؤمنين وقرئ ولن يغني عنكم بالياء للفصل .

" يا أيها الذين آمنوا أطيعوا ا ورسوله ولا تولوا عنه وأنتم تسمعون ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون إن شر الدواب عند ا الصم البكم الذين لا يعقلون ولو علم ا فيهم خيرا لأسمعهم ولو أسمعهم لتولوا وهم معرضون "